

أهمية الدراسات المنهجية في إعداد البحوث في العلوم الشرعية

The importance of methodological studies in preparing research in Sharia sciences

أ. بن لسبت لدمية¹، أ. حكوم سنية²¹ جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، l.benlasbet@lagh-univ.dz¹ مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية جامعة عمار ثليجي – الأغواط (الجزائر)² جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، s.hakkoum@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2025/03/10 تاريخ القبول: 2025/03/27 تاريخ النشر: 2025/11/08

ملخص:

تكمن أهمية الدراسات المنهجية في بحوث العلوم الشرعية في السعي لعملية التأصيل الكلي لقضايا الواقع وجزئياته وظواهره وذلك لإدراك الواقع والتأثير فيه، وهذا ما تناولته الكثير من المؤلفات والكتب والدراسات الحديثة، وأقيمت لأجله الملتقيات الوطنية والدولية وانهقدت المؤتمرات العالمية والمناقشات العلمية، كل هذا من شأنه العناية بالبحث والدرس والتحليل والتدقيق والتمحيص والتنزيل والاستنباط في موضوعات وقضايا تتعلق برصد المناهج المتبعة في العلوم الإسلامية، ومدى قدرة مفاهيمها وقوانينها الحالية على الاستجابة لمتطلبات الواقع، والجوانب التي يمكن أن تستفيد فيها من التطور الحاصل في المناهج عموماً، كما تناولت حقيقة هذا الواقع الذي يراود لمنهج العلوم الإسلامية أن تتفاعل معه، وآثاره في نمط التفكير، وشروط التأثير فيه ضبطاً وتصحيحاً.

كلمات مفتاحية: أهمية المنهج، البحث، العلوم الشرعية.

Abstract:

The importance of methodological studies in Islamic sciences research lies in the pursuit of the process of total rooting of the issues of reality, its parts and phenomena in order to realize reality and influence it, and this is what many literature, books and modern studies have addressed, and national and international forums have been held for it, and

international conferences and scientific discussions have been held, all of this would take care of research, study, analysis, auditing, scrutiny, download and deduction in topics and issues related to monitoring the curricula used in Islamic sciences, and the ability of their current concepts and laws to respond The requirements of reality, and the aspects in which they can benefit from the development of curricula in general, as well as the reality of this reality that Islamic science curricula are intended to interact with, and its effects on the pattern of thinking, and the conditions for influencing it in control and correction.

Keywords: The importance of the curriculum; Search; Sharia Sciences.

المؤلف المرسل: أ. بن لسبط لدمية

1. مقدمة:

تتضح أهمية المنهج في ضبط العلوم وتحديد أهدافها وطرائقها بحيث لا تضطرب القضايا وتتعارض المسائل، مما يساعد على تقدم العلوم وحفظها من الدخيل والشاذ وصونها من الضياع والاختلاف، ويشترط أن يكون المنهج واضح المعالم بين القسّمات.

ومنه كانت عناية الإسلام بالمنهج عناية كبيرة، ومن دون المنهج السليم من البحث يشرد الذهن وتتحكم فيه الأهواء ويضل الطريق، ودعا الإسلام إلى التجديد في مناهج البحوث في العلوم الإسلامية تماشياً مع تغيرات الوقت الراهن، مع مراعاة القضايا والطوارئ والأحداث والمستجدات المعاصرة لا سيما في ظل هذه الثورة التكنولوجية التي أفرزت لنا واقعا يجب التعامل معه بكل معطياته. ولا يُعد الإنسان عالما ما لم يسلك منهجا علميا يحقق به معلوماته وموضوعاته، ولا تخفى أهمية معرفة منهج العالم في فكره عامة، وفي تأليفه خاصة، إذ يعتبر المنهج وسيلة التثبيت والتحقق في طلب العلم.

2. مفهوم المنهج الفقهي لغة واصطلاحاً:

المنهج في اللغة:

تذكر المعاجم العربية أن كلمة منهج مشتقة من الفعل الثلاثي نَهَجَ على وزن فَعَلَ، (محمد بن أبي بكر الرازي، 1986، ص284) ومعناها الطريق الواضح البين، (جمال الدين بن منظور، 6/ 4555 وانظر الفيروزي آبادي، 2005، ص208) والمنهج مصدر للفعل نَهَجَ، نقول: نهج الطريق وأنهج: أي وضح وبان، ونقول: نهجته الطريق أنهجته: أي أوضحته وابنته. (السر قسطنطيني، 1978، 123/3) قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48). وتجمع كلمة منهج على مناهج، ومناهيج. قال الطبري في تفسيره: "وأما المنهاج، فإن أصله الطريق البين الواضح، ومنه يُقال: هو طريق نَهَجُ وَمِنْهَاجُ بَيْنٌ". (الطبري، 2001، 493/8)

المنهج اصطلاحاً:

لم أقف على تعريف محدد للمنهج عند المتقدمين، وإن كانوا استعملوه لبيان الطرق والأساليب والوسائل التي تؤدي إلى المقصود. وعُرف بتعريفات عديدة متقاربة منها: هو "فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون". (محمد زيان عمر، 1993، ص48 وانظر عبد الرؤوف خرابشة، 2005، ص15) وهو "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة". (عبد الرحمان بدوي، 1977، ص5)

فالمنهج هو الطريق الذي يتبعه الباحث في دراسة المشكلة لاكتشاف الحقيقة بغية الإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي يثيرها موضوع البحث. وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق، وطرق اكتشافها. (محمد شفيق، 1988، ص86) ونستخلص من هذه التعاريف أنّ المنهج؛ هو الطريقة التي يسلكها العالم في بحثه بغية الوصول إلى غاية محددة في أي نوع من فروع المعرفة. أو هو الخريطة التي يهتدي بها الباحث في طريقه نحو تحقيق هدفه من وراء البحث. (عبد الفتاح خضر، 1992، ص17)

والملاحظ أن هناك تداخل بين مصطلح المنهج أو المنهاج والمنهجية، فإذا كان مصطلح المنهج يرتبط بقضايا البحث العلمي وإجراءاته وأنواعه، فإن المنهجية تحدد القواعد العامة لطريقة التفكير، وتتضمن التصور والتخطيط المسبق والرؤية الكلية للعناصر، وتنبتق عنها مناهج تفصيلية متعددة. (فتحي حسن ملكاوي، 2003، ص ص20، 21)

مفهوم البحث:

البحث لغة: أصل البحث في اللغة طلبك الشيء في التراب: بَحَثَهُ، يَبْحَثُهُ بَحْثًا، وَابْتَحَثَهُ، وَمِنْهُ اسْتَعْمَلَ (البحث) بِمَعْنَى أَنْ تَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ وَتَسْتَخْرِجَ. (الفيومي، ص36) فكلمة البحث لها مدلول لغوي عام تعني طلب الشيء وإثارته وفحصه. (عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 2005، ص25)

البحث اصطلاحاً: هو "استقصاء دقيق يهدف إلى إضافة معارف يمكن توصيلها، والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي". (أحمد بدر، 1994، ص22)

فالبحث إذن وسيلة لطلب المعلومة وعملية استقصاء بخطوات منظمة يقوم بها الباحث بغرض اكتشاف المعلومات، أو لدينا معلومات نريد تطويرها أو تصحيحها.

تعريف البحث العلمي باعتباره لقباً: "هو عملية علمية، تجمع لها الحقائق والدراسات، وتستوفي فيها العناصر المادية، والمعنوية حول موضوع معين دقيق في مجال التخصص؛ لفحصها وفق مناهج علمية مقررّة، يكون للباحث منها موقف معين؛ ليتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة". (عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 2005، ص25)

كما عُرف أنه "عمل منظم يهدف إلى حل مشكلة معرفية باستقراء جميع مكوناتها التي يظن أنها أساس الإشكال". (أحمد بدر، 1994، ص22 وانظر فريد الأنصاري، 1997، ص24)

البحث العلمي إذن عبارة عن عمل ممنهج منظم يتبع فيه الباحث خطوات محددة ودقيقة وواضحة، الهدف منها هو حل المشكلة أو المشكلات، لأن البحث أساساً يتضمن مشكلة يستوجب حلها، فالباحث متيقن أنه أمام مشكلة في بحثه يعبر عنها بجملة من الأسئلة التي تتطلب الإجابة عنها، وذلك بتنظيم أفكاره وعرضها وتحليلها، لذا يجب على الباحث أن يبذل قصارى ما في جهده ووسعاه، عن طريق

الاستقراء والتدقيق والمتابعة والرجوع إلى المصادر والمراجع، بغية الوصول إلى مصادر المعلومة والإجابة على الإشكال المطروح في مسألة البحث، وعندها يتمكن من الوصول إلى النتائج المرجوة وتحقيق أهداف البحث.

3. أهمية الدراسات المنهجية:

ترجع أهمية المنهج إلى كونه الطريق المأمون في الوصول إلى العلم الصحيح، إذ يُعتبر وسيلة التثبت والتحقق في طلب العلم، وما وصل عالم مالم يسلك منهاجا علميا يحقق به أهدافه، ولكل موضوع من المعرفة منهج يناسبه.

والإسلام له عنايته الخاصة بطلب العلم، فقد أمر بالعلم وأثنى على العلماء، وذمّ الجهل والجاهلين، كما طالب بالتثبت والتحقق في طلب العلم، وطالب بإقامة الدليل والبرهان، والإسلام يدعو إلى العلم واكتساب المعرفة بطريقة منهجية مرتبة. (فؤاد باشا، 1984، ص22)

كما جعل الإسلام توثيق الأخبار مطلبا شرعيا ودليلا من أدلة العلم الصادق، والاعتبار في تفرغ الأحكام، ومنهج التجريب والملاحظة في علوم الكون والحياة، ومنها التنبيه إلى أهمية المنهج السليم. إذ يكون الباحث على طريق واضح سليم في تعلمه وتعليمه، وفي نظره واستدلاله وفي حكمه وفتواه، وفي اتباع والاختلاف، لذا كانت فعلا مسألة المناهج من الدين لأنها بمثابة الطريق الصحيح الموصل إلى العلم الصحيح.

"والمنهج اكتمل له في علم اختص به هو علم (أصول الفقه)، فتحقق له بذلك الكمالان: الموضوعي والمنهجي، أبدع فيهما الفقهاء، فنمت أصوله وتهدبت فروعه وتطور على مدى العصور الإسلامية، فتجلت فيه المهارات الفكرية، والقدرات العقلية المتنوعة الرفيعة". (عبد الوهاب أبو سليمان، 2011، ص19)

ويمكن أن نلخص أهمية وضرورة الدراسات المنهجية في النقاط الآتية:

- تكمن أهمية المنهج في كونه أصبح في واقعنا المعاصر علما مستقلا قائما بذاته، له أصوله وأساسه، واتسع نطاقه مما أدى إلى وجود المصنفات المتخصصة في الحديث عن مناهج في مختلف العلوم.

و"تكمن عظمة المنهج الإسلامي في أن مفهومه للعلم والمعرفة العلمية أوسع وأشمل من المفهوم الشائع لدى فلاسفة العلم على اختلاف مذاهبهم". (فؤاد باشا، 1984، ص23)

- إن من أهم ما يميز المنهج في المنظور الإسلامي مصادره؛ ففي حين تنحصر المصادر الرئيسة للمعرفة في كثير من الفلسفات في مصدرين رئيسيين هما: الحس والعقل، نجد أن المنهج في المنظور الإسلامي يتفق مع تلك الفلسفات على اعتبار كل من الحس والعقل مصدراً رئيساً من مصادر المعرفة، لكنه يضيف إليهما مصدراً ثالثاً أكثر أهمية وهو الوحي؛ المتمثل في القرآن الكريم كلام الله، والسنة النبوية الصحيحة، والوحي يستقل بمصدريته للمعرفة في مجال الغيبيات، ويشترك مع كل واحد من المصدرين الآخرين في مجاله ويهيمن عليه فيه، وما جاء عن طريق الوحي مما ينتمي في موضوعه إلى أي من المجالين فهو ضابط للمعرفة في ذلك المجال.

والأكيد أن القرآن والسنة هما مصدرا المنهج في الإسلام، لأن هذين المصدرين وُجدا واكتملا قبل وجود المنهج العلمي التجريبي، وقبل ظهور المنهج والمنهجية بأربعة عشر قرناً، وربما يقول قائل: نحن في غنى عن المنهج، لأن الأمة الإسلامية غنية بتراثها المعرفي القائم على النقل والدراية والرواية، وأن المعرفة في الإسلام لا تنفصل عن التصور الإسلامي للكون والوجود والحياة والإنسان، وإنما تستند إليه وترتكز عليه، وبهذا التراث استطاعت أن تقيم حضارة أبهرت العالم، وحققته انجازات عظيمة فيمكن أن تكتفي بهذا الزخم الحضاري والإنتاج المعرفي، ولا نخضع للمنهج المعاصر.

ويُجاب على هذا الطرح "أن هذه المنهجية التي نتبناها منهجية قرآنية، جاء القرآن المجيد بكل خطواتها وتبناها علماءنا في وقت مبكر، والقرآن هو الذي علمنا أن الحاضر والمستقبل يؤسسان على الماضي، وأن آثار الماضي في الحاضر والمستقبل مما لا يمكن تجاهله. فالقرآن نفسه استرجع تراث النبوات كلها من آدم إلى خاتم النبيين (عليهم الصلاة والسلام)، وقام بنقده وتنقيته، وبيان ما شابه من شوائب وانحرافات ثم بنى عليه الرسالة الخاتمة، على أن المناهج التي سادت في الماضي عند الأصوليين والمحدثين وغيرهم لم تكن مناهج كاملة بالمعنى القرآني ولا بالمعنى العلمي المعاصر للمنهج بقدر ما كانت قواعد منهجية أو بعض محددات منهجية، والفرق شاسع بين الاثنين، (المنهج والمنهجية) الكاملان هما اللذان

سيساعداننا على الاسترجاع النقدي المعرفي السليم لتراث أمتنا وتنقيته مما شابه من شوائب، لم تحل تلك المناهج الموروثة بينها وبين اقتحام تراثنا والتغلغل فيه". (طه جابر العلواني، 2001، ص 151، 152) لأن "الاسترجاع النقدي سيعين على معرفة وتقييم ثم استيعاب وتجاوز آثار فترات الانقطاع في تراثنا وتاريخنا، كفترة المناداة بتوقف الاجتهاد، ثم توقفه فعلا، ثم المناداة بفتحه، ثم اعتباره في بعض الفترات جريمة يعاقب عليها القانون...، فالمنهج يعين على المراجعة المنضبطة لذلك التراث والتصديق عليه والتمكين من استيعاب إيجابياته والبناء عليها". (طه جابر العلواني، 2001، ص 153)

- وفي إيضاح أهمية المنهج يقول البعض أن البحث العلمي رهين بالمنهج، يدور معها وجودا وعدما، خصبا وعمقا، فلا وجود للبحث العلمي السليم مع افتقار المنهج. وهنا كان الاهتمام بتقنين مناهج البحث العلمي، ويمكن أن نفسر تطورات العلم والمعرفة العلمية بأدوارها المتفاوتة عن طريق بيان دور المنهج العلمي في تحصيلها، فما انتكس العلم إلا بسبب النقص في تطبيق المناهج العلمية أو تحديدها، وما ازداد أصالة إلا بالدقة في تحديد المناهج وتقرير مبادئها القويمة. (عبد الرحمان بدوي، 1977، ص 7)

- إن بناء المنهج أو تطويره يتأثر بالموقف الذي يُنطلق منه فيما يتعلق بالمعرفة، فالمعرفة تشكّل جانباً مهماً من محتوى المنهج من حيث غايتها وطبيعتها وموضوعها ومصادرها وحدودها، وعلاقتها بالمنهج وإحلالها فيه ووضع المعرفة في عصر الانفجار المعرفي، ووحدات المعرفة ومستوياتها في المنهج. "ولا خلاف على أن أسلمة المعرفة تتطلب منهجية في التفكير تتمثل في القدرة على التحليل الناقد لتراث المسلمين التاريخي وتراث الغربيين المعاصر، وأن هذه القدرة يجب أن تتوافر في العلماء المسلمين المعاصرين. ولذلك يلزم تدريب العلماء المسلمين المعاصرين على هذه المنهجية لاكتساب مهارات التفكير التحليلي الناقد الذي يتصف بالاستقلالية والإبداع، وأن أية تفاصيل في مشروع أسلمة المعرفة لا تتجاوز تدريب العقل المسلم على امتلاك القدرة النقدية والإبداعية". (فتحي حسن ملكاوي، 2003، ص 47، 48)

- المعرفة الواعية بمناهج البحث العلمي تمكننا من إتقان البحوث العلمية، والسيطرة على إجراءاتها، وتلافي الكثير من الصعوبات التي قد تعترض سبيلها. (عبد الرحمان بدوي، 1977، ص 7)

- المناهج في النهاية تشكل اتجاهات ومدارس ينتظم في كل منها عدد من الباحثين والعلماء والفقهاء، وبدراسة هذه الاتجاهات والمدارس نتعرف على تطور العلوم المختلفة وما أضافه كل عالم وما هي جهوده في خدمة هذا العلم.

- تكمن أهمية المنهج في حاجة وضرورة الدراسات الشرعية له، فالمنهج يوفر لعملية الكتابة في علم الفقه مثلاً عنصر الدقة، فهو الطريقة التي يلزمها الفقيه في بحثه، حيث يتقيد باتباع مجموعة من القواعد العامة التي تهيم على سير البحث، ويسترشد بها في سبيل الوصول إلى الأحكام والحكم، (عبد الفتاح خضر، 1992، ص 17) إذن لا بد من معرفة المناهج وضوابطها الشرعية حتى نبني الفكر السليم والقويم ولا بد من دراسة المنهجية العلمية في الفكر الإسلامي، لأنها الكاشفة عن الطريق التي يسلكها العقل في بحثه عن الحقيقة.

- لا بد من معرفة المناهج وضوابطها الشرعية حتى نبني الفكر السليم والقويم مع بيان خطورة وغياب المنهج في البحوث والدراسات الشرعية، لأن غياب المنهج يؤدي إلى البلبلة الفكرية، والحيرة العقدية والشذوذ في الآراء. لأن "قضايا الفكر الإسلامي المعاصر تحتاج إلى محاولة يتكامل فيها النظر في منهجية الفكر الإسلامية بياناً للعيوب واقتراحاً للإصلاح، وتوجيه الحوار حول الجانب المنهجي في الفكر الإسلامي من أهم مهمات الفكر الإسلامي اليوم ... "وهل أزمة المسلمين منذ زمن إلا أزمة منهجية تفكير في أساسها؟". (فتحي حسن ملكاوي، 2003، ص 27)

- أهمية المنهج أملت طبيعة النصوص الشرعية، لأن عملية البحث في الفقه والاجتهاد والفتوى والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الشرعية لا بد لها من ضابط وميزان لضبطها وصونها من الشذوذ، والخروج عن طريق الاعتدال والوقوع في الزلل، هذا الضابط والميزان هو المنهج القويم المبني على أسس صحيحة. (مصطفى بشير الطرابلسي، 2010، ص 8)

- أهمية المنهج تمكننا من معرفة الدراسة المنهجية العلمية التي تتعلق بعملية التفكير الإسلامي وطبيعة الفكر الذي ينتج عنها، وترتبط بغايات الإسلام ومقاصده العامة، ولذلك فإن قضية المنهجية في بعدها الفكري لا تنفصل عن واقع الحياة التي يستهدف الإسلام بناءها، فغاية الفكر الإسلامي إقامة

الحياة الإسلامية في الدنيا لتكون الممر إلى الآخرة، فالمنهجية الإسلامية العامة تنبثق عنها مناهج عديدة متخصصة متميزة بتمايز العلوم والمجالات المعرفية. (فتحي حسن ملكاوي، 2003، ص37)

- دراسة المنهج يعرفنا على جهود الأئمة الكبار والعلماء والفقهاء في التقعيد والتأصيل، ويعطي لنا حكما دقيقا بعيدا عن الهوى والتعصب والتجريح، وبواسطة المناهج نتعرف على مادة الفقيه، ونقف على المآخذ التي وقع فيها ونحذر منها، لأنّ المنهجية في النهاية تفكير واجتهاد بشري يلحقه الصواب كما يلحقه الخطأ، فنثمن الصواب ونفعله ونوجه الخطأ عن طريق الاجتهاد في الفهم وتحديد الرؤية، وندفع حدود المعرفة إلى آفاق جديدة، مما يؤكد "أنّ شريعتنا الخالدة قادرة على مواجهة التطور ومعالجة قضايا عصرنا وقيادة ركب الحياة من جديد على هدى من الله وبصيرة، ولكن بشروط يجب توافرها وتحقيقها جميعا إذا كنا صادقين في العودة إلى شريعة ربنا جادين في حسن فهمها وحسن تطبيقها". (القرضاوي، 1993، ص80)

وفي ختام أهمية المنهج نقول إن التتبع والتوسع في دراسة المناهج العلمية عند فقهاء وعلماء الإسلام يؤدي إلى تحلي صورة المنهج لديهم والخطوات العلمية الكبيرة التي خطوها في هذا المجال، ويعكس لنا مدى الوعي المنهجي وضرورة التفكير بوصفه يرسم لنا طريق الوصول إلى الغاية المنشودة، فالعلم منهج قبل أن يكون نتاجا أو مضمونا. أما المطلوب من علماء الأمة في هذا العصر فيما يتعلق بالمنهج فإنه لا يتجاوز "إعادة التنسيق بين فروع وأجزائه المتنوعة على نحو يتفق مع حاجتنا الراهنة ... والتقاط ما تلخ الحاجة الشديدة إليه من مجموع فصول ذلك المنهج وجوانبه الكلية المتكاملة، ثم إبرازه بلغة العصر وتبسيطه قدر الاستطاعة، ثم طرحه في ساحات الدعوة الإسلامية ليسير الحوار الإسلامي على ضوئه وينضبط بمجديه". (فتحي حسن ملكاوي، 2003، ص49 وانظر القرضاوي، 1999، ص30)

4. مناهج البحث في العلوم الإسلامية:

المقصود بمناهج البحث هي الطرق التي ينبغي أن يسير عليها الباحث في دراسته لظواهر علمية كي يصل إلى نتائج يقينية في الكشف عن طبيعة هذه الظواهر، وما يكتنفها من أسباب ومسببات وما تخضع له من قوانين. (إعداد نخبة من الأساتذة المتخصصين، 1975، ص568)

ولما كان المقصود من البحث العلمي في العلوم الإسلامية هو كل ماله علاقة بالشريعة الإسلامية وعلومها كعلوم العقيدة الإسلامية، وعلوم الفقه وأصوله، والقرآن وعلومه، والسنة النبوية وعلومها وغيرها من العلوم الشرعية. والهدف من البحث العلمي في مجال العلوم الشرعية هو إيجاد حلول لمشكلات قائمة في المجتمع، وذلك باستقصاء قضاياها المتجددة، والتدقيق في المستجدات الطارئة، ومناقشة مختلف القضايا الإسلامية وفي مختلف المجالات في العقيدة، وتفسير القرآن، والسنة النبوية وعلوم الحديث، والارتكاز على التأصيل الفقهي لمختلف المسائل برؤية مقاصدية، بالنظر إلى علم الأصول وعلم مقاصد الشريعة، تحقيقا للمصلحة الشرعية حسب نصوص الشرع في إطار مصادر الشريعة الإسلامية والغنية بتنوعها.

ومن أهم أنواع مناهج البحث في العلوم الإسلامية نذكر ما يلي:

• منهج التحقيق:

التحقيق لغة: مشتق من الحق، وأصل الحق: المطابقة والموافقة، يقال: أحققت كذا أي أثبتته حقًا، أو حكمت بكونه حقًا، كذا قال الراغب وغيره، وفي معجم المقاييس: يقال حَقَّقْتُ الأمرَ وأَحَقَّقْتُهُ، أي كنتُ على يقينٍ منه، وفيه: يقال ثوب محقق إذا كان محكم النسيج. (أحمد بن فارس، 1979، ص15)

المقصود بالتحقيق اصطلاحاً هو "بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة. فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه". (عبد السلام هارون، 1998، ص42)

وأكثر ما يظهر لنا هذا المنهج في تحقيق التراث وبيان حقائقه، كت تحقيق المخطوطات ويكون عن طريق الجمع وذلك بالوقوف على جميع أجزاء الموضوع العلمي الذي نريد تحقيقه، وضمها لبعضها البعض فقد تكون متناثرة بين طيات التراث وتوجد في أكثر من كتاب، بهدف جمعها أولاً كمادة علمية ثم تركيبها تركيباً علمياً متناسقاً، وبعد عملية الجمع يأتي التحقيق أو ما يعرف بالتوثيق. بمعنى منهج التحقيق يقوم على صفتي الجمع أولاً للمادة العلمية ثم التحقيق بصورة التوثيق، فالباحث يبذل قصارى ما في وسعه ولا يدخر جهداً في إخراج النص التراثي مطابقاً لحقيقة أصله نسبة ومنتاً، مثلما قام العلماء بتحقيق كتب التراث ونشرها حتى وصلت لنا مبوبة ممنهجة سهلة التناول، وقد يكون التحقيق في مجال معين من مجالات

العلوم الشرعية، كالفقه أو التفسير أو الأصول وغيرها من العلوم، مثل كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي حققه أحمد شاكر، وكتاب "البرهان" للإمام الجويني حققه صلاح بن محمد بن عويضة، وغيرها من الكتب المحققة.

• المنهج الوصفي (المسح):

تعريفه هو منهج "يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ثم مقارنتها، وتحليلها، وتفسيرها، للوصول إلى تعميمات مقبولة". (أحمد بدر، 1994، ص228)

والمنهج الوصفي "موضوعه الوصف، والتفسير، والتحليل في العلوم الإنسانية، من دينية واجتماعية وثقافية، ولما هو كائن من الأحداث التي وقعت لملاحظتها ووصفها، وتعليلها، وتحليلها، والتأثيرات والتطورات المتوقعة، كما يصف الأحداث الماضية، وتأثيرها على الحاضر". (عبد الوهاب أبو سليمان، 2005، ص33)

فالمنهج الوصفي هو ذاك المنهج الذي الغرض منه الاستقراء وجمع المعلومات وترتيبها عن أمور ومسائل لا نعلمها، وتصويرها عن طريق هذه المعلومات وتصنيفها وتحليلها واخضاعها للتدقيق واستنتاج الخلاصة، فهو يُعرفنا بالقضايا والاشكالات التي نبحث عنها، والمنهج الوصفي يستخدم في مجال البحوث المتصلة بالعلوم الشرعية وفي دراسة الترجمة والأعلام (الأصولي، المحدث، المفسر، الفقيه وغيرهم)، مثال: كتاب الوفيات لياقوت الحموي، وفهرست شيوخ القاضي عياض، وفهرست ابن عطية.

• المنهج التحليلي:

تعريفه هو "منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، تفكيكا، أو تركيبا، أو تقويما فإذا كان الإشكال تركيبة منغلقة من التراث، أو الفكر الإسلامي المعاصر، قام المنهج التحليلي بتفكيكها، وإرجاع العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة، فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها، ووظائفها، ليركب منها نظرية ما، أو أصولا ما، أو قواعد معينة". (فريد الأنصاري، 1997، ص96)

إذن هو المنهج الذي يقوم من خلاله الباحث بدراسة مختلف الإشكاليات العلمية معتمداً على عدة أساليب كالتفكيك والتركيب والتقويم. وتعتبر العلوم الشرعية أحد أكثر الاختصاصات استخداماً

للمنهج التحليلي معتمدة على ثلاث عمليات رئيسية هي التفسير والنقد والاستنباط، حيث تعتمد بعض الدراسات على عملية واحدة من هذه العمليات، بينما تستخدم دراسات أخرى عمليتين من العمليات الثلاث، وقد تجتمع كل العمليات في دراسة علمية أخرى. وهذه الأساسيات باختصار:

- التفسير، ويتضح هذا في جانب عرض الدراسات العلمية بطريقة سلسلة، مع التوضيح ورصد العناصر الهامة، وذكر الأسباب على نحو يبرز الظاهرة ويوضحها.
- النقد، وتعد تلك المرحلة ذا أهمية في حالة وجود دراسات سابقة مشابهة للدراسة الحالية، وهذا لإيضاح نقاط الضعف والقوة، ومحاولة تلاشي الضعف في الدراسة الحالية.
- الاستنتاج، وهي مرحلة استخلاص النتائج، سواء كانت تلك النتائج معممة أو مخصصة، ويتم على أساسها التعميم النهائي. (رشدي فكار، 1982، ص37)
- ويقول أحد المفكرين المعاصرين وهو الدكتور رشدي فكار صاحب كتاب "لمحات عن منهجية الحوار والتحدّي الإعجازي للإسلام في هذا العصر" منوها بأهمية المنهج التحليلي في العلوم الإسلامية قائلاً وأما: "المنهج التحليلي فيستعمل في العلوم الإسلامية القاعدية أو النسقية ... ولذلك يمكن استئناس هذا المنهج أساساً في غالبية العلوم الفقهية والحديثية والتفسيرية وما حول ذلك، لأنها علوم تحتكم إلى قاعدة قرآنية أو سنة، أو نسق في الاجتهاد للأئمة الأربعة". (فريد الأنصاري، 1997، ص64)

وخلاصة القول نقول أن: المنهج التحليلي يعتمد على مستوى التفسير والفهم وذلك بفهم المعلومات والتدقيق فيها، ومستوى التعليل أي تعليل المعلومات والمواقف والأقوال، ومعرفة الأسباب والدوافع، وبعد الفهم الاستنتاج واستنباط القواعد والخلاصات، ثم يليها النقد البناء ومدى موقف الباحث من القضية إيجاباً وسلباً مع ذكر الدليل، ويمكن للباحث أن يمارس واحدة التفسير والفهم أو التعليل أو الاستنباط والنقد، أما الجمع بينهم لا يتأتى إلا للباحث البار وصاحب الملكة البحثية والدربة.

• المنهج المقارن:

تعريفه هو "منهج يسعى لإبراز مواطن الوفاق، أو الخلاف، بين قضيتين أو قضايا، في موضوع واحد، مع تفسير ذلك وتعليله، وعلى هذا كان يجري (الفقه المقارن)، أو (الخلاف العالي)، في مصنفات الفقهاء الأقدمين". (فريد الأنصاري، 1997، ص 90)

فالمنهج المقارن هو أحد المناهج المستخدمة في البحث العلمي، وهو ذلك المنهج الذي يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر، ويعتمد الباحث من خلال ذلك على مجموعة من الخطوات من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية المتعلقة بالظاهرة المدروسة.

ويعتبر المنهج المقارن من المناهج المرنة التي يُمكن استخدامها بمختلف المجالات مثل المجالات الاجتماعية والعلمية والقانونية والتربوية، ويتميز المنهج المقارن بالإقناع والنتائج البناءة علاوة على استخدامه جنباً إلى جنب مع المناهج الأخرى مثل المنهج الوصفي أو التحليلي أو التاريخي.

ومن أهم الأمثلة في المنهج المقارن في العلوم الشرعية، كتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد الحفيد المتوفى عام 595هـ، وهو أحسن ما يمثل المنهج المقارن، إذ طرح المصنف (رحمه الله) المسألة الفقهية من خلال وجهات النظر المتعددة فيها، ثم يؤصل لذلك، بإرجاع كل رأي إلى أصله، الذي انطلق منه مفسراً، أو معللاً، وربما رجح مذهباً، أو اختار رأياً.

والمصنفات في الخلاف العالي كثيرة، بحيث لا تنحصر في المجال الفقهي فقط، بل تتعداه إلى مجال التفسير الفقهي المتعلق بآيات الأحكام، كما يظهر المنهج المقارن في الكثير من المصنفات الأصولية والكلامية، التي تهتم بتحرير الخلاف في القضايا والمصطلحات. (فريد الأنصاري، 1997، ص 91)

فالمنهج المقارن يعتمد على المقارنة بين مسألتين أو قضيتين، أو علمين، مثلاً المقارنة بين الإمامين (أبو حامد الغزالي والجويني) في بعض المسائل الأصولية، أو بين (ابن عبد البر والخطيب البغدادي) في مجال علوم الحديث، وهكذا يكون المنهج المقارن في باقي العلوم الشرعية الأخرى، في الفقه والقراءات والسيرة... ومن الأسس التي يقوم عليها المنهج المقارن، ويجب على الباحث التقيد بها، أولاً: الاشتراك أو ما يعرف بوحدة الموضوع ووحدة المنهج، مثلاً لا يمكن المقارنة بين علمين مختلفين أحدهما في الفقه والآخر في

السيرة، لأن المنهج الذي يسلكه الفقيه غير المنهج الذي يسلكه صاحب السيرة، وذلك حسب طبيعة كل موضوع، أو المقارنة بين محدث وأصولي من الناحية المنهجية، ونبين كيفية استخدام المحدث والأصولي في المنهج الاستقرائي وهذا غير ممكن.

وثانيا: يجب أن تكون المقارنة تزامنية كأن تكون المقارنة مثلاً بين (ابن عبد البر والخطيب البغدادي) تزامنية في فصل واحد لا أن نتحدث عن أحدهما في الفصل الأول والآخر في الفصل الثالث، بحيث يجب مراعاة عناصر المقارنة في أجزاء الموضوع، ومقابلتها لمعرفة أوجه الشبه والوقوف على أوجه الخلاف، بحيث تكون المقارنة تزامنية في نفس الوقت عندما يذكر الإيجابيات يذكر السلبيات وهكذا ... (فريد الأنصاري، 1997، ص ص 91، 92)

• المنهج التاريخي:

تعريفه "كمنهج يتطلب تحديد مشكلة البحث، وتجميع الحقائق والمعلومات المتعلقة بتلك المشكلة، وتحديد مصادر هذه الحقائق الأولية والثانوية، ثم تصنيف هذه الحقائق وتحليلها وإيجاد العلاقة فيما بينها ثم عرض النتائج وتفسيرها". (أحمد بدر، 1994، ص ص 265، 266)

فالمنهج التاريخي من خلاله يقوم الباحث بوصف وتسجيل الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي، ويقوم بدراساتها وتحليلها وفق مجموعة من الأسس المنهجية، وذلك من أجل فهم الواقع بناء على ضوء الماضي، لأن الماضي يعطينا صورة عن الأمور التي من الممكن أن تحدث في عصرنا الحالي أو في المستقبل، والمنهج التاريخي يعد من أقدم مناهج البحث، ومن بعض أعلام المنهج التاريخي العلامة ابن خلدون الذي استخدم المنهج التاريخي في دراسته للعمران البشري وفي تحليله لمراحل تطور الدولة وهرمها. (رشدي فكار، 1982، ص 17)

والدراسات الإسلامية تحتاج إلى المنهج التاريخي، بغية توضيح حقائق التراث الإسلامي، كما كانت عليه، خاصة ما يتعلق بالعلوم الشرعية لفهمها فهما سليما، كما وضعها أصحابها سكونيا وتطوريا، فالتأريخ ضرورة علمية للعلوم الشرعية، حفاظا على ذاتنا ولبنينا حاضرا ونؤسس لمستقبلنا، على ضوء

الأحداث والتطورات الماضية، لأن التراث الإسلامي هو جوهر الحضارة، والعلوم الشرعية مشكاة الأصالة. (فريد الأنصاري، 1997، ص 86)

والمنهج التاريخي في العلوم الشرعية يعتمد على مستويين؛ مستوى سكوني وهو ما يهتم بدراسة قضية ما في الأصول أو السيرة أو غيرها، ويتناولها بالوصف أو التفسير أو النقد أو هم جميعا وذلك حسب طبيعة القضية، وحسب ملكة الباحث مثلا كأن يتناول بالدراسة (كتابة الحديث في القرن الأول الهجري). أما المستوى الثاني هو المستوى التطوري كأن يتناول الباحث قضايا في القرون السابقة، قضية ساكنة في مرحلة تاريخية ويدرسها وصفا، أو تعليلا أو تفسيراً أو نقداً أو كل ذلك جميعا، حيث يدرس تطورها كيف بدأت؟ وكيف تطورت؟ وكيف آلت وانتهت، وهكذا. (فريد الأنصاري، 1997، ص ص 87، 88)

• المنهج الاجتماعي:

تعريفه هو "منهج يأتي كشروح شمولية جدلية مادية، أو جدلية واقعية أو بنيوية وظيفية ... فهو منهج يقوم على مستوى الشروح الشمولية للواقع المجتمعي، وهو يتحرك في إطار كيفية لا متصلة". (رشدي فكار، 1982، ص 87)

والمنهج الاجتماعي (السياسيولوجي) من المناهج المعاصرة والحديثة، ومن بين العلماء الذين نادوا بتوظيفه في الدراسات الإسلامية الدكتور فكار رشدي في كتابه "لمحات عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر"، وهو منهج يقوم على الدراسات الميدانية، بمعنى يركز على البحث الميداني فهو بحث تطبيقي في الواقع الاجتماعي المرتبط بحياة الناس في المجتمع، ويمكن الاستئناس به في الدراسات الإسلامية، فهو مفيد من الجانب التربوي جدا، مثلا خاصة في الدراسات الفقهية، لأن علم الفقه أحكام عملية مرتبطة مباشرة بأفعال وأقوال وتصرفات الناس من عبادات ومعاملات وحدود وغيرها. فالفقه مثلا علم واقعي له علاقة بالواقع العملي الدقيق (فقه الواقع)، ومعرفة فقه الواقع لا يتأتى إلا بمعرفة الواقع والميدان وبالدراسات العلمية، بمعنى استنطاق الواقع بالطرق العلمية مما يساعد على تنزيل الضوابط الشرعية التي نبحث فيها على الواقع بشكل ملائم يتماشى ومقتضيات الشريعة الإسلامية ونصوصها، لأن مراعاة الواقع مبدأ أصيل في البنية الأصولية للعلوم الإسلامية متمثلة في اعتبار المصالح

والمقاصد والعرف واعتبار المال وتحقيق المناط وغيرها، وفي البنية الفقه متمثلة في علمي الإفتاء والقضاء، كدراسة موضوع تعدد الزوجات في الإسلام مثلا بكل ما فيه من مسؤولية أمام الله تعالى وأمام الشرع وأمام المجتمع.

ومن بين الأمور التي يركز عليها هذا المنهج، الاستبيان بتوزيع الاستثمارات وأخذ عينات مختلفة منها وتسحب على شرائح في المجتمع، وكذلك الاعتماد على المقابلة وإجراء حوارات ونقاشات ميدانية في الواقع واستنطاق لشرائح اجتماعية من نسيج المجتمع للخلوص إلى جملة من الآراء وتوظيفها في هذه الدراسات والبحث الذي نحن بصدد تناوله.

بمعنى يجب "استغلال قدرة الملاحظة وتنوعها وتعددتها سواء ملاحظة غير مباشرة بفضل التوثيق ... أو ملاحظة مباشرة تتبنى التعامل الميداني بإجراء استطلاعات وتحقيقات حقلية، بما في ذلك من (مقابلات) و(اختبارات) و(دراسة حالة) و(قياس اجتماعي) يركز على المعطيات الإحصائية، واستغلال كل طرق البحث المعروفة علميا، و(الملاحظة بالمشاركة) والعيش مع الظاهرة ... للتعرف عليها كما وكيفها، ووصفا وتفسيرا وتحليلا، بهدف التعرف على كل العوامل المهيمنة لسببيتها وما يترتب عليه من استنتاج موضوعي وتخرّيج صارم". (رشدي فكار، 1982، ص 85)

وفي الختام نقول إنه يجب الاهتمام بمكانة العلوم الإسلامية وفعالية مناهجها في البحث، وعلينا بالجد والاجتهاد وبذل قصارى الجهد في تطوير هذه المناهج، لتقديم أفضل الطرق المنهجية تركز على الرؤية الموضوعية والواقعية مواكبة لتطورات الواقع واسهاما في حل مشكلاته.

5. المصادر والمراجع:

- أحمد بن فارس (1979). معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1.
- محمد بن أبي بكر الرازي (1986). مختار الصحاح، الناشر مكتبة لبنان، دط.
- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، طبعة محققة، الناشر دار المعارف، القاهرة، (دت).
- الفيروزي آبادي (2005). القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8.

- السر قسطنطي (1978). كتاب الأفعال، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف، مراجعة د، محمد مهدي علاّم، ط/ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- الطبري (2001). جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، ط1.
- محمد زيان عمر (1993). البحث العلمي-مناهجه وتقنياته-، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط4.
- عبد الرؤوف خرابشة (2005). مناهج البحث عند علماء أصول الفقه، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1.
- عبد الرحمان بدوي (1977). مناهج البحث العلمي، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ط3.
- محمد شفيق (1988). البحث العلمي-الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية-، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية، مصر.
- عبد الفتاح خضر (1992). أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مكتب صلاح الجيلان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3.
- فتحي حسن ملكاوي (2003). التفكير المنهجي وضرورته، بحث من مجلة (إسلامية المعرفة)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة السابعة، العدد: 28.
- الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ت عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط2، مادة بحث.
- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان (2005). كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، طبعة مزيدة ومنقّحة ومصحّحة، مكتبة الرشد الناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط9.
- عبد الوهاب أبو سليمان (2011). منهج البحث في الفقه الإسلامي-خصائصه ونقائصه وترتيب موضوعاته، مكتبة الرشد، ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط4.
- أحمد بدر (1994). أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، (دط، دت)، الدوحة.
- فريد الأنصاري (1997). أبجديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط1.
- فؤاد باشا (1984). فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، طبع دار المعارف، مصر، ط1.

- طه جابر العلواني (2001). مقاصد الشريعة، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1.
- مصطفى بشير الطرابلسي (2010). منهج البحث في الفتوى في الفقه الإسلامي بين انضباط السابقين واضطراب المعاصرين، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1.
- القرضاوي (1993). شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، دار الصحوة، مصر، ط2.
- القرضاوي (1999). الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، مكتبة وهبة، مصر، ط2.
- إعداد نخبة من الأساتذة المتخصصين (1975). معجم العلوم الاجتماعية، الشعبة القومية للتربية والعلوم والسكان "يونسكو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- عبد السلام هارون (1998). تحقيق النصوص ونشرها، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7.
- رشدي فكار (1982). لمحات عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر، مكتبة وهبة، مصر، ط1.